الظّاهرِ دونَ المدحِ في قوله تعالى في الجنَّتَينِ السّابقتين: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾، ومَن ذَهبَ إلى تفضيلِهما يقول: إنَّ التَّنوينَ في ﴿فَٰكِهَةٌ﴾ للتَّعميم، بقرينةِ المَقام، نظيرَ ما قيلَ في قولِه تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التَّكوير: 14] فيكونُ في قوَّةِ: (فيها كلُّ فاكهة)، ويزيدُ ما في النَّظمِ الجليلِ على ما ذُكِرَ بتَضَمُّنِه الإشارةَ إلى مدحِ بعض أنواعِها[1].

بيانُ سِرِّ التَّفصيلِ بعدَ الإجمالِ ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾:

عطفَ البيانُ القرآنيُّ ذِكرَ النَّخلِ والرُّمّانِ على ذِكر الفاكهةِ، فقال: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾، فذهب قومٌ إلى أنَّ النَّخل والرُّمّانِ ليسا من جنسِ الفاكهةِ؛ لأنَّ الواو تقتضي المغايَرَةَ، والرّاجحُ أنَّ ثمر النَّخل والرُّمّانِ من جملة الفاكهةِ، غيرَ أنَّهما ذُكِرا على التَّفصيل للتَّفضيل، فأُخرِجا من الجملة بالذِّكر، كما في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: 238]، فأعاد الوسطى بعد أن ذكرها في الجملةِ، تشديدًا لها، كذلك أُعيد النَّخل والرُّمّان ترغيبًا لأهل الجنَّة، وكذلك قولُ اللّهِ تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: 98]؛ فقد عُلِمَ أنَّ جبريل وميكال دخلا في الجملة، وأُعيد ذِكرُهما دلالةً على فضلهما وقُربِهما من خالقهما[2]، وقيل: إنَّما كرَّرهما؛ لأنَّ النَّخل كان عندهم عامَّةَ قوتِهم، وكان الرُّمّانُ كالثَّمرات، فكان يكثر غرسُهُما عندهم لحاجتهم إليهما، وكانت الفواكهُ عندهم من ألوان الثِّمارِ التي يُعْجَبون بها، فإنَّما ذَكرَ الفاكهة، ثمَّ ذكرَ النَّخلَ والرُّمّانَ لعمومِهما وكثرتِهما عندهم من المدينةِ إلى مكَّةَ، إلى ما والاهما من أرضِ اليمنِ، فأخرجَهُما في الذِّكر من الفواكهِ، وأفرد الفواكهَ على

فُـصِّـلَ في ذِكـر النَّخل والرُّمّانِ لفضلهما

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 121.
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 21/ 196.

حِدَتها، وقيل: أُفْرِدا بالذِّكرِ؛ لأنَّ النَّخلَ ثمرُه فاكهةٌ وطعامٌ، والرُّمَّانُ فاكهةٌ ودواءٌ، فلم يُخْلَصا للتَّفكُّه[1].

بلاغةُ الاعتراضِ، ومعنى الفاءِ، وبَيانُ المرادِ بـ﴿ءَالَآءِ﴾:

عند تقدير جملةِ: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ صفةً للجنَّتَين، تكونُ جملةُ: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ اعتراضًا بين الصِّفةِ والموصوفِ[2]؛ لتوكيدِ أنَّ كلَّ وصفٍ للجنَّتَين نعمةٌ قائمةٌ بذاتها، وجاءتِ الفاءُ للتَّفريع على ما تقدَّم منَ الامتنانِ بذِكرِ هذه الفواكهُ، وما فيها من تَفَكُّهٍ وقوّتٍ ودواءٍ، وفي ذلك من الآلاء العظيمةِ والنِّعَمِ الجزيلة ما يَحثُّ على تقرير الإيمانِ في قلوبِ المحسنينَ، وتوبيخِ العاصينَ المُكَذِّبينَ، فإنَّها كلَّها حقٌّ ونِعَمٌ لا يمكن جَحْدُها[3].

في ذكرِ الفاكهةِ والنَّخلِ والرُّمّانِ في هاتَين الجنَّتَيْنِ نعمةٌ عظمى

سِرُّ وصفِ الجَنَّتينِ بالجملةِ الاسميَّةِ ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾:

عبَّر النَّظمُ الجليلُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ بالجملةِ الاسميَّة؛ للدَّلالةِ على دوامِ وجودِ هؤلاءِ الحورِ العينِ في جنّاتِ أصحاب اليمين، بعدَ أنْ ذكرَ نعمةَ التَّمتُّعِ بالفاكهةِ والنَّخل والرُّمّانِ، فلا ينقطع التَّلذُّذُ بهؤلاء الحِسانِ أبدًا.

التَّنعُّمُ بالحورِ حِسانِ الوجوهِ لَذَّةٌ مُلازِمةٌ في الجنَّةِ

الغرضُ من تقديمِ الخَبرِ ﴿فِيهِنَّ﴾ وبيانُ مرجعِ الضَّميرِ:

قدَّمَ النَّظمُ الجليلُ شبهَ الجملةِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾؛ للدَّلالةِ على الاختصاصِ، فهؤلاء الخيراتُ الحِسانُ مختصّاتٌ بهذه الجنّاتِ، التي وعدَ اللهُ تعالى، لكلِّ واحدٍ من أصحابِ اليمينِ جنَّتان منها.

اختصاصُ الجنّاتِ بهؤلاءِ الخيراتِ الحِسانِ

دلالةُ استعمالِ حرفِ الظَّرفيَّةِ:

جاءَ استعمالُ حرفِ (في) الدّالِ على الظَّرفيَّةِ في كلمةِ

احتَوتِ الجنّاتُ على الخيِّراتِ الحِسانِ

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 185.
(2) الخطيب ومصلوح والعلوش، التّفصيل في إعراب آيات التّنزيل: 27/ 220.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 171.

﴿فِيهِنَّ﴾؛ لإفادَةِ معنى التَّضَمُّنِ والاحتِواءِ، فكأنَّ الجنّاتِ قد احتَوتْ هؤلاءِ المُتَّقينَ، وشملَتهُم فيها مع الحورِ العينِ، فهم مغموسونَ في النَّعيمِ ظاهرًا وباطِنًا، لا يَنْفَكّونَ عنِ التَّلذُّذِ بهذا النَّعيمِ المُقيمِ والرّاحَةِ التّامَّة.

دلالةُ التَّعبيرِ بضمير الجمع في ﴿فِيهِنَّ﴾، مع أنَّه وصفٌ للمُثَنَّى:

في عَودِ الضَّميرِ جمعًا تكثيرٌ لوجوه النَّعيمِ

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ باستعمالِ ضميرِ الجمعِ ﴿فِيهِنَّ﴾، رغم عَودِ الضَّميرِ على مثنًّى، وهو ﴿جَنَّتَانِ﴾ في قولِه: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، وقد تعدَّدَتْ أقوالُ المُعْرِبينَ في توجيهِ العدولِ عن ضميرِ المُثَنَّى (فيهما) إلى ضميرِ الجمع ﴿فِيهِنَّ﴾، كما تعدَّدتْ في قولِه تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، **القولُ الأوَّلُ**: أنَّ الضميرَ في ﴿فِيهِنَّ﴾ عائدٌ على الجِنانِ الدّالِّ عليهِنَّ ﴿جَنَّتَانِ﴾؛ إذ كلُّ فردٍ فردٍ له جنَّتانِ، فصَحَّ أنَّها جِنانٌ كثيرةٌ. **والقولُ الثّاني**: أنَّ الضَّميرَ يعودُ على ما اشتملتْ عليه الجنَّتانِ من المجالسِ والقُصورِ والمَنازِلِ. **والقولُ الثّالث**: أنَّه يُعود على الجنّاتِ الأربعِ، الجنَّتينِ الأولَيَيْنِ والجنَّتيْنِ اللَّتَين من دونِهما، فيجوز أن يكون لصاحبِ الجنَّتين الأولَيين جنَّتان أُخْرَيانِ، فصارت له أربعُ جنّاتٍ، ويجوز أن يكون توزيعًا على من خافوا ربَّهم، فيعودُ على جنّاتِ أصحابِ اليمينِ مجتمعينَ بجنّاتِهم الكثيرةِ. **والقولُ الرّابعُ**: أنَّ الضَّميرَ عائدٌ على الآلاءِ المعدودةِ من الجنَّتينِ والعينَينِ والفاكهةِ. والقولُ الخامسُ: أنَّ كلَّ موضعٍ من الجنَّةِ جَنَّةٌ، فلذلك قال: ﴿فِيهِنَّ﴾[1].

الغَرضُ من التَّعبيرِ بـ﴿خَيْرَاتٌ﴾ مادَّةً وصيغةً، ودلالةُ التَّنكيرِ:

نساءُ أهلِ اليمينِ فاضلاتٌ مختاراتٌ لا رَذْلَ فيهنَّ

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ عن الحورِ العينِ لأهلِ اليمينِ بلفظِ ﴿خَيْرَاتٌ﴾؛ للدَّلالةِ على عراقتهنَّ

(1) الفرّاء، معاني القرآن: 3/ 120، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 121، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 273، والخطيب ومصلوح والعلوش، التّفصيل في إعراب آيات التّنزيل: 27/ 220.

في الخيرِ، فالخيرَةُ: الخيارُ من كلِّ شيءٍ، وامرأةٌ خَيْرَةٌ في جَمالها وميسَمِها[1]، وهيَ الفاضِلَةُ من كُلِّ شَيْءٍ[2]، وفي هذا البناءِ وجهان، أحدُهما: أنَّه جمعُ (خَيْرَة)، بزِنةِ فعْلَة بسكونِ العين، يقال: امرأةٌ خَيْرَةٌ، وأخرى شَرَّةٌ. والثّاني: أنَّه جمعُ خَيْرَة المخففة مِنْ خَيِّرَة[3]، وفَسَّرَه الرَّسولُ ﷺ بقوله: «خَيِّراتُ الأخْلاقِ»[4]، والمراد في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ المختاراتُ، أي: فيهنَّ مختارات لا رَذْل فيهنَّ[5]، وأنَّهنَّ فاضِلاتُ النَّفسِ كَرائمُ الأخلاقِ[6]، فالخَيرات مَن اختارَهُنَّ اللّهُ، فأبدعَ خَلْقَهُنَّ باختيارِهِ، فاختيارُ اللّهِ لا يشبه اختيارَ الآدَميّين، والتَّنكيرُ هاهُنا للتَّعظيم، فقد جاءَ في الأثرِ: «لَوْ أنَّ خَيْرَةً مِنْ خَيْراتِ حِسانٍ اطَّلَعَتْ مِنَ السَّماءِ؛ لَأضاءَتْ لَها، ولَقَهَرَ ضَوْءُ وجْهِها الشَّمْسَ والقَمَرَ، ولَنَصيفٌ تُكْساهُ خَيْرَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فيها»[7].

سِرُّ وصفِ الخَيراتِ بـ﴿حِسَانٌ﴾:

في قولِ اللّه تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ وصفَهنَّ النَّظمُ الجليلُ بأنَّهنَّ ﴿حِسَانٌ﴾، أي: حِسانُ الخَلْقِ، ومع أنَّ الخيراتِ مستَغنيةٌ عن الوصف بذاتِها؛ لأنَّها خيراتٌ لا يجيء منها إلّا كُلُّ ما هو خيرٌ، فقد وُصِفَتْ بأنَّها حِسانٌ؛ تحقيقًا لكمالِ الخيريَّة فيها، ومَحْضِها للخيرِ الخالصِ، وعزْلِها عن الخير الذي يَشوبُه شيءٌ ممّا يُكَدِّر صَفْوَه؛

لا يـقـدرُ عـلى وصـفِ جـمـالِ الـحِسانِ سوى اللهِ تعالى

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خير).
(2) الرّازيّ اللّغويّ، مختار الصّحاح: (خير).
(3) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 10/ 184.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 70. ذكره الهيثميّ في مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: 10/ 772، وقال: رواه الطّبرانيّ في الأوسط والكبير.
(5) الرّاغب، مفردات القرآن: (خير).
(6) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 273.
(7) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 186. ورواه ابن المبارك في الجهاد، برقم: (24)، وهو حسن بمتابعاته.

إذ كثيرًا ما يشوب الخيرَ ما ليس منه[1]، وإذا قال الله تعالى: ﴿حِسَانٌ﴾؛ فمن ذا الذي يَقدِرُ أن يَصِفَ حُسْنَهُنَّ؟ وقيل: لأنَّهنَّ عَذارى أبكارٌ، ومن ذهبَ إلى أنَّ الجنَّتين الأُخرَيَين أعلى منزلةً من الجنَّتين الأولَيَيْن، قال: ذَكَرَ هُنالكَ أنَّهنَّ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾، و﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾، فانظرْ كمْ بين الخَيْرَةِ، وهي مختارةُ الله، وبين قاصراتِ الطَّرفِ، جاء في الأثرِ في تفسير حُسنِهنَّ: «إنَّ الحورَ العينَ يَأخُذُ بَعْضُهُنَّ بأيْدي بَعْضٍ، ويَتَغَنَّيْنَ بأصْواتٍ، لَمْ تَسْمَعِ الخَلائِقُ بأحْسَنَ مِنها ولا بمِثْلِها: نَحْنُ الرّاضياتُ، فلا نَسْخَطُ أبَدًا، ونَحْنُ المُقيماتُ، فلا نَظْعَنُ أبَدًا، ونَحْنُ الخالِداتُ فلا نَموتُ أبَدًا، ونَحْنُ النّاعِماتُ، فلا نَبْأسُ أبَدًا، ونَحْنُ خَيْراتٌ حِسانٌ حَبيباتٌ لِأزْواجٍ كِرامٍ»[2].

بلاغةُ الاعتراضِ، ومَعْنَى الفاءِ، وبَيانُ المرادِ بـ﴿ءَالَآءِ﴾:

في ذكـرِ ما في الحورِ العينِ من الخيرِ والجمالِ نِعَمٌ عظمى

عند تقدير جملةِ ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ صفةً للجنَّتين تكونُ جملةُ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ اعتراضًا بين الصِّفةِ والموصوفِ[3]؛ لتوكيدِ أنَّ كلَّ وصفٍ للجنَّتين نعمةٌ قائمةٌ بذاتها، وجاءتِ الفاءُ للتَّفريع على ما تقدَّم منَ الامتنانِ بذكرِ ما في نساءِ أهلِ اليمينِ من الخيرِ والجمالِ، وفي ذلك نِعَمٌ جزيلةٌ تحثُّ على تقرير الإيمانِ في قلوبِ المحسنينَ، وتوبيخِ العاصينَ المُكَذِّبينَ، فإنَّ شيئًا منها كائنًا ما كان لا يقبلُ التَّكذيبَ[4].

موقعُ ﴿حُورٌ﴾ والغرضُ من وصفِ ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ بهِ:

في لفظِ (حورٌ) مبالغةٌ في جمالِ عيونِهنَّ وبياضِ أجسادِهنَّ

تعدَّدتِ الأقوالُ في إعرابِ لفظِ ﴿حُورٌ﴾ ومَوقِعه ممّا قبله، **فالأوَّلُ**:

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 14/ 698.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 187. وهو جزءٌ من حديث أخرجه التّرمذيّ في سننه، برقم: (2564)، وقال: حديث غريب.
(3) الخطيب ومصلوح والعلوش، التّفصيل في إعراب آيات التّنزيل: 27/ 220.
(4) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 171.

أنَّهُ بدلٌ من ﴿خَيۡرَٰتٞ﴾، **والثّاني**: أنَّهُ مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ، والتقديرُ: فيهنَّ حورٌ، **والثّالث**: أنَّهُ نعتٌ لـ﴿خَيۡرَٰتٞ﴾[1]، وقد وصفَ النَّظمُ الجليلُ الخيراتِ الحِسانَ بأنَّهنَّ ﴿حُورٞ﴾؛ للدَّلالةِ على شدَّةِ حُسْنِهنَّ، وللمبالغةِ في وصفِ جمالِهنَّ، ففيه إشارةٌ إلى جمالِ عيونِهنَّ وبياضِ أجسادِهنَّ؛ لأنَّ الحَوَرَ أن يشتدَّ بياضُ بياضِ العينِ، وسوادُ سوادِها، وتستديرَ حَدَقَتُها، وتَرِقَّ جُفونُها، ويَبْيَضَ ما حوالَيْها[2]، وذلك نهايةُ الحُسنِ من العينِ[3]، وقد ربطوا ذلك ببياض البَدَن أيضًا[4].

دلالةُ الوصفِ بصيغةِ اسم المفعولِ مقابل اسم الفاعلِ:

التَّعبيرُ باسم الفاعلِ للملازمةِ، وباسم المفعولِ للقَسْرِ عليها

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بصيغةِ اسم المفعولِ ﴿مَّقۡصُورَٰتٞ﴾ في قول الله تعالى: ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾، وفيه أربعةُ تأويلات، **الأوَّل**: مقصوراتُ الطَّرفِ على أزواجهنَّ. **والثّاني**: المحبوساتُ ولسْنَ بالطوّافاتِ في الطُّرق. **والثّالث**: المُخدَّراتُ المَصوناتُ. **والرّابع**: أنهُنَّ المُسْكَناتُ في القصورِ[5]، وهذه التَّأويلاتُ قريبةٌ إلى حدٍّ كبيرٍ ممّا وردَ في لفظِ ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾، من قولِ اللهِ تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾، ففي التَّعبيرين مَدحٌ لهؤلاء وأولئكَ بالعِفَّةِ والصّيانَةِ.

وأمّا الفرقُ بينهما عندَ من ذهبَ إلى تفضيلِ الجنَّتين الأولَيَيْن، فهو أنَّ في لفظِ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾؛ إشارةً إلى ما في هؤلاءِ الحورِ من خَفَرٍ، وحياءٍ، وعِفَّةٍ، وأنَّ ذلك في أصلِ خَلْقِهنَّ، فاسمُ الفاعلِ للدَّلالَةِ على أنَّ هذا الوصفَ ثابتٌ فيهنَّ لا يتغيَّرُ، ولا يتبدَّلُ، وأمّا لفظُ ﴿مَّقۡصُورَٰتٞ﴾؛ فيشيرُ إلى أنَّ هؤلاء الحورَ قد قَصَرَتْهُنَّ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 187، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 122، والخطيب ومصلوح والعلوش، التّفصيل في إعراب آيات التّنزيل: 27/ 220.
(2) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (حور).
(3) الرّاغب، مفردات القرآن: (حور).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (حور).
(5) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 442.

الخيامُ، وحَجَبتْهُنَّ عن العيونِ، وحجَبَتِ العيونَ عنهنَّ، وهذا لا يمنعُ من أن يكون لهُنَّ ما لأخواتِهنَّ من الخَفَرِ والحياءِ، ولكنْ شَتّانَ ما بينَ خَفَرٍ وحياءٍ مُطلَقَين، وخَفَرٍ وحياءٍ مقصورَيْنِ ومقيَّدَيْن! فذاك قد امتُحن، وجُرِّبَ، فظلَّ ثابتًا، لم تنلْ منه التَّجربةُ والامتحانُ، وهذا لم يُمْتَحَنْ، ولم يُجَرَّب بعدُ[1]؛ وذلك لِما في ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ مِنَ الإشْعارِ بالقَسْرِ في القَصْرِ[2].

ومن ذهب إلى تفضيل الأخيرتين يقول: هذا أمدحُ؛ لعموم الصِّفاتِ الحسنةِ خَلْقًا وخُلُقًا في قولِ اللهِ تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾، ويدخل في ذلك قَصْرُ الطَّرفِ وغيرُه ممّا يدلُّ عليه التَّشبيهُ بالياقوتِ والمَرجانِ، والمرادُ بـ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ - على القولِ بأنَّ قلوبَهن وأبصارَهن ونفوسَهن مَقصورةٌ على أزواجهن - القصرُ الطَّبيعيُّ بقرينةِ المقامِ، فيكون فيه إشارةٌ إلى تعذُّرِ تَرْكِ القَصْرِ منهنَّ، فحتَّى لو أرَدْنَ عدمَ القصرِ لما استطعنَ، وأمّا ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾؛ فرُبَّما يوهِمُ أنَّ القَصْرَ باختيارِهنَّ، فمتى شِئْنَ؛ قَصَرْنَ، ومتى لمْ يَشَأْنَ؛ لمْ يَقْصُرْنَ[3]، وفي قَصْرِ الخيامِ على حورِ الجنَّتينِ الأُخْرَيَيْنِ إشارةٌ إلى عظمَتِهنَّ ونفاستِهنَّ ورَوْعَتِهنَّ، فإنهنَّ ما قُصِرْنَ حَجْرًا عليهنَّ، وإنَّما ذلك إشارةٌ إلى ضربِ الخيامِ لهُنَّ وإدلاءِ السِّتر عليهنَّ[4]؛ ضنًّا بهنَّ أن تراهُنَّ العُيونُ.

معنى ﴿فِى﴾ ودلالتُها في ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾:

جاءتْ ﴿فِى﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾؛ للدَّلالةِ على الظَّرفيَّةِ، في إشارةٍ إلى إحاطةِ الخيامِ بهؤلاءِ الحورِ العينِ؛ مبالغةً في حياطَتِهنَّ وسترِهنَّ لنفاستهنَّ وشدَّةِ جمالِهنَّ.

في إحاطةِ الخيامِ بالحورِ دليلٌ على شِدَّةِ نفاستِهنَّ وجمالِهنَّ

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 14/ 698.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 123.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 123.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 380.

إيثارُ التَّعبير بالخيامِ، ودلالةُ التَّعريفِ فيها:

المبالغةُ في صيانةِ الحورِ العينِ

آثَرَ النَّظمُ الجليلُ التّعبيرَ بلفظِ ﴿ٱلۡخِيَامِ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾؛ وذلك لما في لفظِ الخيامِ من الدَّلالةِ على الإقامةِ والثَّباتِ[1]، وخيامُ الجَنَّةِ: بيوتُ اللُّؤلؤِ، وقيل: هي درٌّ مُجوَّفٌ[2]، فليسَ المرادُ بلامِ التَّعريفِ في ﴿ٱلۡخِيَامِ﴾ ما تعارفَهُ النّاسُ، بل المرادُ تعظيمُ هذه الخيامِ وبيانُ مَدى فخامَتِها، وأنَّها هي (الخيامُ) دون ما عداها ممّا عَرَفوه مِن ضُروبِ الخيامِ، ودليلُ ذلك ما رواه البخاريُّ، أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إنَّ في الجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُها سِتّونَ ميلًا، في كُلِّ زاويَةٍ مِنْها أهْلٌ ما يَرَوْنَ الآخَرينَ، يَطوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنونَ»[3]، وهذه الخيامُ في داخلِ قصورِ أهلِ اليمينِ، فهي شبيهةٌ بالخدورِ التي تُتَّخَذُ في البيوتِ[4]، مبالغةً في سترهنَّ لنفاسَتِهنَّ.

بلاغةُ الاعتراضِ، ومعنى الفاءِ، وبَيانُ المرادِ بـ﴿ءَالَآءِ﴾:

في ذِكرِ قَصرِ الحورِ العينِ في خيامِ اللُّؤلؤِ آلاءٌ جزيلةٌ

عند تقدير جملةِ: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ صفةً لقولِ اللهِ تعالى: ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾، أو في محلِّ نصبِ حالٍ من ﴿حُورٞ﴾؛ لأنَّهُ نكرةٌ موصوفةٌ؛ تكونُ جملةُ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ اعتراضًا بين الصِّفةِ والموصوفِ[5]؛ لتوكيدِ أنَّ كلَّ وصفٍ لهؤلاءِ الحورِ العينِ نعمةٌ قائمةٌ بذاتها، وجاءتِ الفاءُ للتَّفريعِ على ما تقدَّم منَ الامتنانِ بذكرِ قَصرِ الحورِ العينِ في خيامِ اللُّؤلؤِ، وفي ذلك نِعَمٌ جزيلةٌ تحثُّ على تقريرِ الإيمانِ في قلوبِ المُحسنينَ، وتوبيخِ العاصينَ المُكذّبينَ، فإنَّ شيئًا منها كائنًا ما كان لا يقبلُ التَّكذيبَ[6].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خيم).

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 71.

(3) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (4928).

(4) الجمل، الفتوحات الإلَهيّة على تفسير الجلالين: 7/ 382، والصّاويّ، حاشية الصّاويّ على تفسير الجلالين: 6/ 516.

(5) الخطيب ومصلوح والعلوش، التّفصيل في إعراب آيات التّنزيل: 27/ 220.

(6) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 171.

سِرُّ تَكرارِ الحالِ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾:

اختصاصُ الحورِ العينِ بأصحابِ اليمينِ كاختصاصِ قاصراتِ الطَّرْفِ بالمحسنينَ

كرَّرَ النَّظمُ الجليلُ قولَ اللّهِ تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ في وصفِ قاصراتِ الطّرفِ اللّائي وعدَ اللّهُ بهنَّ المحسنينَ، وفي وصفِ المَقصوراتِ في الخيامِ اللّائي وعدَ اللّهُ بهنَّ أصحابَ اليمينِ؛ لبيانِ عدمِ الفرقِ بينَ الفريقَيْنِ في هذه المسألةِ، فالمُرادُ في الموضِعَينِ اختصاصُ هؤلاءِ الحورِ العينِ بأزواجهنَّ وحدَهم دونَ غيرهم من الخَلْقِ؛ وذلك لأنَّ الاختصاصَ بالمرأة من أعظم المُلَذِّذات، فبرَّأهُنَّ أن يجامعَهُنَّ، ويتسلَّطَ عليهنَّ أحدٌ من الإنسِ للإنسيّاتِ أو الجنِّ للجنيّاتِ، فكأنَّه قيل: هنَّ أبكارٌ لم يُخالِطْ موضعَ الطَّمثِ منهنَّ أحدٌ[1]، كما لم يخالطْ أبصارَهنَّ أحدٌ، فجَمَع لهنَّ بينَ عِفَّةِ البصرِ ونقاءِ الفرجِ، فالامتنانُ هنا كالامتنانِ هناكَ، سواءٌ بسواءٍ.

مَعْنَى الفاءِ ودَلالتُها، وبَيانُ المرادِ بـ﴿ءَالَآءِ﴾ في هذا المَوْضِعِ:

في ذكرِ الحورِ العينِ وكونِهنَّ أبكارًا لم يَطْمِثْهُنّ أحدٌ نِعَمٌ عظيمةٌ وآلاءٌ جزيلةٌ

جاءتِ الفاءُ في جملة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ للتّفريع على ما تقدَّم من الامتنانِ بما وعدَ اللّهُ أصحابَ اليمينِ من التّلذُّذِ بالمقصوراتِ في الخيامِ من الحورِ العينِ، مع الامتنانِ كذلك بكونهنَّ أبكارًا لم يطمثهنَّ أحدٌ من إنسٍ ولا جانٍّ، وفي ذلك ما فيه من الآلاءِ العظيمةِ والنِّعمِ الجزيلة؛ فإنَّ في مجرّد هذا التّرغيبِ في هذه الآلاءِ نعمةً جليلةً ومنَّةً عظيمةً؛ لأنَّ به يحصلُ الحرصُ على الأعمالِ الصّالحةِ والفرارُ من الأعمالِ الطّالحةِ، فكيف بالوصول إلى هذه النِّعَمِ والتّنعُّمِ بها في جنّاتِ النّعيمِ بلا انقطاعٍ ولا زوالٍ[2]!.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 184.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 170.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والخمسون،
سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 59 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-648-68-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 59 : المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-648-68-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7377148 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"